تطور نظام الحكم في قرطاج

للدكتور فوزي مكاوي

بقيت قرطاج مملوء السمع والأذن لسنوات قرونين تقريبًا (814 - 616 ق.م.) حيث احترقت التجارة والكشف المكنية في الحوض الغربي للبحر المتوسط والمحيط الأطلسي وكانت عملا رئيسيًا في اثراز السلم أو انشغال الحرب في العالم ، كما كانت شريك القوى العظمى المعاصرة لها في تقرير مستقبل ذلك الزمان ، وبالإضافة إلى كل ذلك حكمت قرطاج امبراطورية بحرية وبرية واسعة سعتها عديدًا من جزر البحر المتوسط وسواحل شمال أفريقيا غرب النفوذ المصري فضلا عن شبه جزيرة ليبيا وبعض سواحل أفريقيا إلى المحيط.

هذه المدينة العظيمة سارت شؤونها بلا شك حكومة قديرة نجحت في تحقيق حالة الرخاء للمدينة في أغلب سنوات حياتها ، وكانت تلك الحكومة قادرة على مواجهة متطلبات الحكم في الداخل والاستعمرات وكانت ترسم سياسة المحتل ووصادات الحاضر بالنسبة للدولة.

هذه الحكومة ضمت بلا شك عددًا من المؤسسين وعديدًا من الموظفين مثلها في ذلك مثل روما وغيرها ، وقد أعجب بهذه الحكومة كثير من الفلكين الأفرعي والرومان ، فقال أرسطو « ويشير أن القرطاجيين ينمون في سياستهم منهجًا حسنًا ، ويديرون غيرهم في كثير من شؤونهم » وذكر أرسطو وشأن أن تائمهم كان حسنًا إلى حد لا يمكن معه اعتبارهم براعة أما بوليبيوس فأشار إلى أعراب جل المؤرخين بنظم قرطاج ويوكل من ناحيته حسن انتظام أمورهم وشرائعهم إلى عهد الحرب البونيتيه الثانية.

(1) أكسيلا، أسطوان ، تاريخ شمال أفريقيا القديم ، ترجمة مجيد التأريخ سعد، الكاتب الثاني الفصل الأول من 345 (الترجمة غير منشورة).

وقد استخدمتها بالذن شخصي من الترجم نلهشعر.

81

م 6 - مجلة الدراسات الأفريقية.
ولكن البحث في هذا الموضوع تصادفه الصعوبات المعتمدة التي يعانيها كل من اقترب من التاريخ القرطاجي يستطع، فالمدينة دمرت والوثائق ضاعت والباقي من مصادر الأدب كتب مؤخر الأعوام الذين لا ينتظر منهم انفلات قرطاج فضلا عن أبرز مزايا حكمتهم.

ومع ذلك فإن هذه الصعوبات تخفى الباحث أكثر مما تحبط عزمه وهو يعلم مسبقا أن رسم صورة الحكومة القرطاجية وتطورةها لن تحقق كل أغراضها ولن تكون الصورة واضحة حتى بانتهاء مسير الباحث أن رسم صورة تلك الحكومة حتى ولو نقصتها بعض التفاصيل استعمال خسرت في نصف الوصول إلى كتابة تاريخ قرطاج بجمل منصف محايده.

مصادرنا الأدبية عن هذا الموضوع محدودة ومع ذلك فهي مشتركة: 
فترة هنا وفترة هناك يمكننا الإشارة إلى ذلك إلى عدد من المصادر وردت عند هيرودوت (1) وبعض الصفحات عند بوليبيوس (2) الذي أخذ عنه ليفيوس (3) وديودورس القصلي (4) وبعض المعلومات التي وردت عند تولوك بومبي في ملخص جستينيوس (5) له ويبدو أن بومبي نفسه أخذ عن تيمابوس (6) يضاف إلى ما سبق ما ذكره أرسطو في كتاب السياسات عن الدستور القرطاجي في مجال مقارته مع الدستور الagascar محد كأما هذه المصادر بالنسبة لموضوعنا تناولها بصورة عمومية وبطريقة عرضية، يستثنى من ذلك أرسطو الذي أفرد عددًا من الصفحات للبحث عن دستور قرطاج بالإضافة إلى عدد من الأشارات المتفرقة في الكتاب ويعيب هذه

JUSTINUS, J.; HISTORIAE PHILIPPICAE, ed Ruhl, 1888.
(1) أرسطو ، السياسات ، ترجمة الأب أبوغطيس بريدة البوليمي ، بيروت 1957.
المصادر تعرضا لموضوع بعيد عن خبرة مؤلفها ومن ثم قدموا أوصافاً وأسماء لا تطابق الحقيقة تماما في كثير من الأحيان ما رأوه أو سمعوا عنه من مؤسسات ووظائف بونيقية وأخيرا يلاحظ على هذه المصادر أنها عرضت موضوع الحكومة القبرطاجية كما لو كانت هذه الحكومة كيانا ثابتا لم يتغير منذ بداية حياة المدينة إلى تدميرها.

يضاف إلى المصادر الأدبية المصادر غير الأدبية ومن ثم نتجت إلى الحفائر الأثرية في قرطاج والمناطق التي خضعت لنفذوها لعليها تساهم في القاء بعض الضوء على ما غمض من معلومات. إلا أن مساهمة هذه الحفائر في ميدان البحث ما تزال محدودة رغم أنها تقدم عدا من أسماء الوظائف والمؤسسات القبرطاجية ولكنها لا تعطي أي معلومة عن طريقة تسيرها أو تطورها، كما يلاحظ على ما أكتشف من نقوش أنها لا تغطي إلا القرنين الأخيرين من حياة المدينة.

وهكذا يجد الباحث نفسه أمام فجوات كبيرة في الدراسة فيضطر للإنطاج إلى الاستقراء الحذر لمحاولة استكمال صورة الحكومة القبرطاجية وتطورها في مراحل حياة المدينة. وفي هذا نلجأ إلى التأريخ بين ما كان قائما في قرطاج والحكومات التي عرفتها المدن التي نجت من التدمير لم تخلت عن حلف قرطاج، وكانت تلك المدن قد احتفظت ببعض مظاهر حياتها السابقة رغم وقوعها تحت السيطرة ثم الاستعمار الروماني.

مرت الحكومة القبرطاجية بعدد من التطورات متوافقة في ذلك مع تطور ظروف المدينة ومن ثم عرفت قرطاج حكومة ملكية من بداية حياتها إلى عام 630ق م وان لوحظ وتوقع تطورات هامة في ظل تلك الحكومة بعد استيلاء أسرة ماجون على الحكم في حوالي عام 630ق م بل أن حكم أسرة ماجون شهد هزائم وانتصارات حربية ألفت ظلالها على شكل الحكومة داخل قرطاج.

ثم عرفت قرطاج مرحلة جديدة من الحكم سيطرت الارستقراطية فيها على الحكومة سيطرة كاملة، وإن عرفت قرطاج خلال الفترة الأولى 83
من هذه المرحلة وجود بعض الملوك، أما الفترة التي فصلت بين نهاية الحرب البونيقية الأولى ونهاية الحرب البونيقية الثانية فقد عرفت سيطرة أسرة بركة على القيادة العسكرية فضلاً عن امتداد نفوذهم على المدينة.

وقد تميزت فترة البركين بضعف الارستقراطية التقليدية وتزايد مظاهر الديمقراطية.

امتدت الفترة الأخيرة إلى هزيمة هانيبال في زاما عام 201 ق م. وهي في حقيقة فترات سيطرة رومانية خضعت فيها الحكومة القرطاجية للتدخل الخارجي الذي انتهى بتدمير المدينة.

********

اشتعلت الحكومة القرطاجية على عدد من الوظائف والهيئات، وقد تعرضت هذه الوظائف وتلك الهيئات للكثير من التغييرات في طبيعة الوظيفة وسلطاتها بل في بعض الأحيان شمل التغيير اسم الوظيفة نفسها وفيما يلي أقدم دراسة لكل وظيفة وكل هيئة في الحكومة القرطاجية مع اثبات ما اعترضاها من تغير خلال الفترات التاريخية التي سبقت الإشارة إليها.

أولا: رئاسة الدولة القرطاجية (الملوك ثم القضاة)

تشير مصادر عدة إلى وجود ملوك قرطاجيين، فأسلورة نشأة قرطاج تحدث عن أيضاً كملك على المدينة، كما يشير جستنيوس إلى ملك قرطاج يدعى مالخوس كان على رأس الدولة خلال القرن السادس، وبصرف النظر عن إشارة المؤلف إلى مالخوس كملك فأن كلمة مالخوس نفسها ربما كانت تترجم إلى كلمة ملك السامية، وهناك أيضاً اشارة عند هيرودوت تتحدث عن همكار كملك قرطاجي في أوائل القرن الخامس ق م (1).”

Basilius

”أستخدم المؤلفون الأفرعي والرومان كلمةملك ترجمة للقب القرطاجي الذي يطلق على رئيس الدولة. وقد شكل كتاب محددون في صحة هذه التسمية وقاموا بأنها ترجمة خاطئة لكلمة شوفيتس”


(1)
أو قاضى التي وردت علما على رئيس الدولة القرطاجي عند بعض المؤرخين (1) أمثال بوبيس (2) وتيتوس ليفيوس (3) وكذلك على النقوش المتاخرة. ولكن الغتور على نص بونيتي في أتروريا حسم الخلاف

وأوضح أن المؤرخين الذين استخدموا كلمة ملك

اًما ترجموا كلمة ملك السامية. هذا النص يتحدث عن تقدمه للإلهة

Thesaria Velianas

كايرى (4) ولا يعينينا هذا موضوع التقدم. ولكن الذي يشذنا

Caere

MLK

وتتكرّر هذه الكلمة مرتين في النص، ولم كان هذا النص قد كتبه الملك الأترويا باللغة البونيتيّة

فمن المنطقي الاعتقاد بأنه استخدم التسمية البونيتيّة لنظيره في قرطاج وعلى هذا يمكن القول بأن القرطاجيين قد استخدموا على الأرجح كلمة ملك علما على وضع رئيس الدولة في مرحلتها الأولى.

ولم تكن الملكية في قرطاج ووافية إلى أن أب زيدره هيروودت أن

هملكار قد اعتلى العرش القرطاجي لصفاته الحميدة، إلا أنها تلاحظ أن

أسرة ماجون قد استمرت تقدم ملكاً لقرطاج بصفة مستمرة لفترة استمرت

من عام 370 تقريباً إلى عام 370 ق. م وهو الأمر الذي يدعونا للقول


Polybius, op. cit., (2)

Livy, op. cit., XXVIII, 37 & XXX V, 7. (3)

(4) خُلّف في عام 1957 م في برجي Pyrgi

إحدى موانيّة كايرى باتوريا على ثلاثة قطع من رقائق الذهب كتب على اثنين منها نقش بالاتورية، والثاني كتب بالبونيتيّة وتشير النقوش الثلاث إلى موضوع واحد هو تقدية شياريا فلياتاس لمشترى. والنص البونيتي يقول: « الى الإلهة مشترى. هذا هو الملك المقدس الذي أتاه شياريا فلياتاس، ملك كايرى، في شهر تكتمل القرابين للسنساء واعطاء كهدية... لأن مشترى قد رمته في سنى حكمه الثالثة (النصيرة). لا يمكننا تأريخ هذا النص بدقة ولكن المؤكد أن سباق على تهام الجمهورية الرومانية في عام 509 ق. م.

OGILVIE, R. M., EARLY ROME AND THE ETRUSCANS, GLASGOW 1979, pp. 82 - 83.
بأن الملكية كانت وراثية في داخل الأسرة المالكة على الأقل حتى سقوط
أسرة ماجنون (1).

ويؤكد هذا الاعتقاد أن همكار — المشرف على — اعتنى العرش رغم
انسابة لفرع ثانوي من الأسرة المالكة وفي وجود ثلاثة — يسبقونه في
القرابة إلى الملك الراحل .

والملكية القدسية للملكية القرطاجية كانت على ما يبدو ذات أصول دينية وتظهر
الطبيعة الدينية للملكية القرطاجية في تقديم الملوك لواجهاتهم الدينية
على واجباتهم العسكرية فنجد همكار — وهو الملك الذي عرف بإشباعة
— يقدم واجبه الدينى على واجبه العسكري أثناء معركة هميرأ، فجاس
يقدم الترابين الآلهة في معركة بينما كانت رتي المملكة تدور خارج
المعسكر (2).

وتظهر الطبيعة الدينية للملكية القرطاجية أيضاً في تكرار تضحية
الملوك بأنفسهم في سبيل الدولة، وكان يتم ذلك بقتل الذات، فالملكة
اليسا عندما خبرت بين الزواج من الملك الوطني أو أن تواجه مدينته
الحرب، وجدت الحل في الانتحار لكي تبقي المدينة فرصة الحياة. والملك
همكار الذي بنفسه في النار، ومات عندما بلغه خبر هزيمة جيشه في هميرأ.
وكان الانتحار الملكي في سبيل الدولة لا يدين صاحبه بل كان يؤدى إلى
رفضه إلى مصاف الأبطال وتقدام له القصص والصوتيات في المدينة وفي كل
أجزاء الإمبراطورية (3).

وقد حدث هذا للملكة اليسا التي أهلها رعاياها

(1) يذكر أكسيل بأن ثلاثة أجيال من اسرة ماجنون
المرشوت المرتبط بحبيث اعتلاته ماجون نسبته وابناء هيسدروبال
والملكة HAMILCAR وهيلكار HASDROBAL
الثلاثة وهم هنيلال وهيسدروبال وسابو SAPHO، كما تولاه أبناء
هيلكار الثلاثة وهم هيلكون HANNOV وجنو HAMILCON
وجسكون GISCOS

(2) يطول هيروسات "... وفي همكار في الغزاة بحول
على فعال حسن بإلهيتيه وكان يحرق كل الأشياء في نار عظمية ...
HERODOTOS, OP. cit. B. VII 167.

(3) قال هيروسات "... وتبقي حقية أن المرتبطين بسمون الأشياء
اليه ( همكار )، وإنهم اقنعوا النصوب له في كل مستعمراتهم بالإضافة إلى
ترباط — المدينة الأعظم من الكلي — نسماها ...
بعد انتحارها واستمرت عبادتها في تمرد حتى تدمير المدينة (1) كما قدس الملك هملكير أخيراً، وكان القرطاجيون حريصين على أرضية روحه بعد موته وسبعين عاماً فقدموا آلافاً من الأشخاص البشرية قريبناً لروحه في نفس موقع انتحاره عندما تحقق لهم النصر في هميرا عام 609 ق م (2).

كان الملك يحكم طوال حياته في بوائك تاريخ المدينة ولكنه كان في حاجة لتجديد الثقة بقرطاج على قيادة المدينة بصورة دورية، ولهذا كان يستمر في جستينوس عندما ذكر أن هسردوبال أختير دكتاتوراً على قرطاج احتي عشرة مرة ويري الباحثان الفرنسيين بيكور في هذا التجديد تأثيراً فرعونياً على قرطاج (3) والمعلوم أن مصر عرَفت هدباً الحب سد منذ أسرتها الأولى حيث كانت تقام الاحتفالات من أجل تجديد الثقة في الملك وقرطاج وكان الحفل يقام مرة واحدة كل ثلاثين عاماً ويري نفس الباحثين في التجديد تشابهاً مع كريت في العصر اليونى حيث كان الملك يذهب إلى كريف في جبل أيدا كل تسعة سنين حيث يلتقي وحي الاله هناك (3) وهو الأمر الذي اعتبره الباحثان نوءاً من تجديد الثقة بقرطاج.


(2) يذكر بيكور اقتباساً عن ديودورس أن الملك القرطاجي هملكير Theron الذي قاد معركة التثار في هميرا حلم تحقيق تهرون Hamilton في إجرجنتوم وفبر جيلون قرب سيراكوس، كما نهب جنوده عتاداً من المعباد الإغريقية وأسروا اللاجئين اليهود، بل أن هملكير استمر في معبد زيوس في سيراكوس وجعل منه مقرًا لقيادته وترك جنوده يهبن معبد ديميتروس أchronي في الواضح من هذه الأعمال سيطرة Achradine ضاحى أكراديني فلرفة الانتخابات لروح هملكير ومن ثم وجه هملكير خدين اليهود الإعفاء في معركة هميرا (4) حتى ولو كانوا لغوتا، وكذلك أراد أن ينتهى حتى من الأشخاص الذين دعبهم في تلك المعركة واختتم أعمال الاستمرار بالتصدي بعده آلام من الأشخاص الإغريق.

PICARD, OP. cit. P. 83.

(3) انظر تفاصيل عن الحب سد ومنشآته الملحقة بجماعة زوسر الجنزري. 

عبد العزيز صالح، الشرق الآدئ القديم، ج 1 مصر والعراق، القاهرة 1976 ص 13 – 14.

HOMEROS, ILIAD XIX, 172-180 (4)
الملك الكرتي. ولكنالملت للنظر في التجربة القرطاجية هو قصر مدة الدورة فقد حدثت إحدى عشرة مرة خلال حكم هيدروبول وحده. ولعل هذه الدورة القصيرة كانت تطورا طرا على سلطة الملك عندما زادت قوة الاستقلال التجارية في قرطاج وكان الملك في حاجة دائمة إلى استقراره بملته وتبيدها لنفسه.

كان الملك هو أيضا القائد الأعلى للجيش، وكثيرا ما كان الأولو للقرطاجيون جيوش مدفوعة نزاعها ملقا، ولكن هذا لم يمنع من تعيين قادة آخرين في بعض المعارك. وكانت الملك سلطة دعوة مجلس الشيوخ ورؤساء جلساته وحق عرض الموضوعات المطلوبة اتخاذ قرارات فيها عليه. وكان له نفس الحق فيما يتعلق بالجمعية الشعبية ومن المؤكد أن الملك كانت له اختصاصات دينية وأخرى قضاة. ومع ذلك كانت سلطة الملك في قرطاج سلطة مقدسة على الأقل منذ القرن السادس قبل ميلادنا.

والأول في ذلك کثيرة وقعت الخلاف بين مالخوس وجنوده من ناحية وجلس الشيوخ في قرطاج من ناحية أخرى أدى ذلك إلى نفي الملك والجنود.

دليل آخر على عدم تمتلك الملك القرطاجي بالسلطة المطلقة نراه في مقدمة المعاهدة التي عقدت بين قرطاج وروما في حوالي عام 206 ق م. تنص هذه المعاهدة على: "معاهدة صداقة معقودة بين الرومان وملاءاتهم (طرف أول) والقرطاجيون وملاءاتهم (طرف ثاني) على الشروط التالية.

وهكذا نجد المعاهدة تحديد التضارب المناهضين دون الانتفاضة إلى بالنسبة للدولة الرومانية التي كانت بالقطع فوق الأشخاص فإنها أشار إلى أن ذلك كان مقبولا أيضا في قرطاج وهو ما يمكن إخذه دليلا على أن الدولة في ذلك الوقت كانت فوق الأشخاص، والمقارنة تشير إلى ما الدولة في ذلك الوقت كانت فوق الأشخاص، والمقارنة تشير إلى ما ذكره نفس المؤرخ (بوليبيوس) عن اتفاقية هانيبال مع فيليب ملك مقدونيا في عام 315 ق م والتي تنص بعد الديمالة على الآتي: POLYBIUS, op. cit., III 22.
وهكذا نلاحظ ظهور أصحاب القوة في الاتفاقين: القرطاجيون في المعاهدة الأولى وهانيبال في المعاهدة الثانية.

dليل الثالث على عدم انفراد الملك بالسلطة نجده في النص الذي ذكره ديودورس القصلي عن رحلة حنون ملك القرطاجيين إلى سواحل غرب إفريقيا يقول النص بعد الدبيجة:

"قرر القرطاجيون أن يبحر حنون فيما وراء أعمد هرقلى وأن ينشئه مدناً بونيقية (ومن ثم) أبحر ومعه ستين (ستين) خمسة وحوالي ثلاثين ألف رجل والأرอน والضروريات الأخرى 100." 

هذا النص الذي يؤرخ من الرابع الأخير من القرن الخامس ق م يوضح بما لا يقل جدلا أن الملك كان في حاجة إلى قرار من القرطاجيين لكي يقوم برحلته.

كانت رقابة الشعب على الملك تتم من خلال عدد من أعضاء مجلس الشيوخ حددهم جستينيوس بثقة عضو يطلبون من القادة فور عودتهم إلى الوطن أن يقدموا تقريراً عما فعلوه ويرى جستينيوس أن ذلك الإجراء أتخذ بسبب كثرة تعاقد القادة في أسرة واحدة (هي أسرة ماجون) مما أدى إلى أخذهم زمام الأمور كلها بأيديهم ويفول جستينيوس أن خضم القادة لهذه الرقابة كان كافياً لأن "يمارسوا قيادتهم في الحرب واضعين في اعتبارهم القضاء والقانون في الوطن" (3).


Justinus, op. cit. XIX, 2, 56.
يضيع تجوب البحر و، ومن ثم كانت أية أسرة أرستقراطية معرضة للانفاس إذا ما غرقت أمواها. هذا الوضع القلق كان يحدد من تنامي قوة الأرستقراطية وعلل هذا الوضع هو الذي أدى إلى استمرار الملكية في قرطاج رغم هزيمة هميرا 480 ق م م. ولكن الملكية بدأت تتفقد قوتها أمام تزايد استقرار أراضي المال. وقد تم ذلك على نحو ظهور اهتمام الفينيقيين بتملك الأراضي والضياع في ظل تدهسهم كتيبة مباشرة لهزيمة عام 600 ق م. 8 م. أمام الأفرقة، وكذلك أصبحت رؤوس أموال الأسر الأرستقراطية غير قابلة للغرق وأصبحت هذه الأسر غير خاضعة لاحتمال الوقوع السريع في بريق الفقر. وقد أدى هذا الوضع إلى حدوث تغييرات تدريجية في نظام الحكم في قرطاج، فنجحت الأرستقراطية في التخلص نهائيا من أسرة ماجون عام 700 وتعت ذلك فترة بقيت قرطاج تدين بالولاء للملك ولكنها في هذه المرة لا ينتمون إلى أسرة واحدة (1). بل كان الشبيوخ هم الذين يزكون اختيار أي ملك (2). ولكن منذ عام 608 اختتفى الملك تماما من قرطاج وسيطرت الأرستقراطية الفينيقية تماما على الحكم (3).

منذ ذلك الوقت أسندت رئاسة الدولة الفينيقية إلى اثنين من الموظفين الساميين، كانا ينتخبان لمدة عام واحد أمام مجلس الشعب ولا

1) قال أرسطو بأن النظام الفينيقي كان ينطلق النظام الإسبرطي بعدم ضرورة أن يتدلى بلوكة إلى أسرة واحدة، ولكن كان يشترط فيه شرف المحترم والثروة.

2) كانت قرطاج ما تزال تدين بالولاء للملك على عبد أرسطو وقد ذكر في كتابة (السياجات) ذلك. نفس المصدر، نفس الترجمة الفنصل الثاني 2 و 5 ص 6 - 103.

3) تولى بوميليكار الحكم في عام 609 ق م. وكان في مواجهة أجدوكليس عند هجومه، ولكنه تم نفيه بعد محاولة ثرده على السيطرة الأرستقراطية وادى ذلك إلى القضاء على الملكية بصفة نهائية. نفس المصدر، المرجع السابق ص 60 - 602.
يجوز تجديد انتخابهم، وعرف هذان الموظفان بالقاضيين (الشوفيتس).
وكتبت المصادر اللاتينية وجمعها Sufes وقد ذكر ليفيتس أن هذا المنصب كان أعلى منصب تنفيذي في قرطاج كما ذكر أن سلطة القاضيين تشبه إلى حد كبير سلطة قنصل روما (1) ومن الواضح أن هذا الشباع ظاهر في ثنائية المنصب ومدة ممارسة السلطة، ولكن سلطة قنصل روما كانا أعرض وتمتغا بمركز أعلى، فقد تأكد القناصل جيوش روما ولم يحدث أن كلف الشوفيتس بملف هذه المهمة في قرطاج.
وبعد أن سلطة القاضيين كانت محدودة في داخل المدينة فكانا يشرفان على الأمور اليومية ويفصلان في بعض القضايا، كما كان يعدوان مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية للاجتماع ويرأسان الاجتماعات ويعضوان عليها جدول أعمال كل منها (2) وتذكر الأشارة إلى أن هناك بعض السلطات في داخل المدينة كانت خارج أشراف ورقابة القضاء (الشوفيتس)، وقد عاش من ذلك هاني عليك عندما تولى وظيفة الشوفيتس في عام 197.

ثانيا: قيادة الجيوش:

احتفظ الملوك بقيادة الجيش لأنفسهم في بداية حياة قرطاج وان لم
يمنع هذا تعيين قواد آخرين لقيادة بعض الحملات وتبقي الأمر على هذا
الحال إلى أن سيطرت الأرستقراطية تماما على مطالب الحكم في المدينة
ووجدت في اجتماع سلطة رئاسة الدولة وقيادة الجيش في يد واحدة
خطر كبير على سلطاتها ومن ثم حرصت الأرستقراطية على فصل قيادة
الجيش عن رئاسة الدولة يمكننا أن نلاحظ أن التنسيق لم يجتمعا لرجل
واحد منذ القرن الرابع حتى نهاية الحرب البونيقية الثانية، وقد أشار
أرسطو إلى أن الشروط التي يجب توافرها فين يتولى الملك وهي نبل

LIVY, op. cit. XXVIII, 37, XXX, 5, 7.
(1)
Sufes إلى دعوة
LIVY, Ibid, XXX 5,7.
(2)
الولد والثروة العريضة كانت تراعى أيضا عند اختيار القدامى (1) كان القدامى المسؤولين عن أعمالهم أمام لجنة المائة التي أشرحت جستينيوس لوجودها خلال منتصف القرن الخامس وأمام مجلس المائة والأربعة الذي ذكره أرسطو في القرن الرابع. ويليام خلافاً للحرب البركية الثانية أن مسؤولية هؤلاء القدامى أصبحت أمام مجلس الشيوخ مباشرة. ومع ذلك فإن استخدام قرارات لجئوند المرتقة وولاء هؤلاء الجنود للفريقهم لا للدولة والانتصارات الباهرة التي حققتها القادة البركين هملكار وهدسرون بال في إسبانيا وهانيبال في إيطاليا جعل لهؤلاء القادة سلطة قوية. والملاحظ أن هذه السلطة كانت خارج أسوار المدينة. بل يلاحظ أيضا أن هانيبال وهو أكثر القادة البركين شهرة كان يحرص على أن يحصل على موافقة مجلس الشيوخ على أعماله ويعلم بتشكيل ميلاته (2) وإذا كان لمؤامرة القادة من نفوذ داخل المدينة فإن ذلك النفوذ كان يمارس من خلال الشرعية الدستورية حيث كان الحزب المؤيد للبركين قويًا في داخل مجلس الشيوخ (3).

ثالثاً: مجلس الشيوخ:
لا نسمع في الأيام الأولى لقرارات عن مجالس منظمة ولكن هناك إشارة إلى وجود جمعيات ومناقشة ووصول إلى رأي في قضية رغبة الملك الوطني الزواج من أختا أو أعلان الحرب على المدينة. تطورت هذه الاجتماعات البدوية إلى ما يعرف باسم مجلس الشيوخ الذي ذكر في المصادر الأكدية لأول مرة في القرن السادس عندما تأكد وجوده بالقرار الذي أتخذه بنفي مالخوس وجنوده عن المدينة. وقد مارس هذا المجلس سلطة رقابية هامة يتعلم مما ذكره جستينيوس أنه ابتlec

(1) أرسطو، المصدر السابق (نفس للترجمة) الفصل الثاني ص 103.
(2) راجع ما ذكره ليفيوس عن ذلك في:
LIVY, OP. cit. XXIII, 11 & XXX,9
LIVY, Ibid, XXI & XXX
(3)
عن مجلس الشيوخ مجلس الحكام أو القضاة المائة الذي كان مكلفًا
بمراجعة تقارير القادة فور عودتهم من مهامهم وكانت للقضاة المائة
كل السلطة في تقدير أو اتهام القادة (1).

مجلس الشيوخ هذا كان يدعو الملك للاجتماع ويرأس اجتماعاته
ويعرض عليه جدول الأعمال مما اتفق عليه الملك والشيخ صار أمراً
نافذاً، أما ما اختلفوا عليه يحول إلى الشعب. وقد أدر تأيد الشعب
لجيش الشيوخ إلى تنفيذ قرار التفتيح في حق مالخوس وجنوده.

وقد شهد مجلس الشيوخ هذا زيادة في أهميته مع تزايد نفوذ
الأرستقراطية فنجد أرسلو في حديثه عن الدستور القطرائي يخص
هذا المجلس بال كثير من عنايه. فالإعفاء لا يشترط فيهم الوصول إلى
سن الستين (3) - كما كان الحال في إمبراطورية - ولكن كان ينظر في
اختيارهم إلى الفضل لا إلى العمر إذ أن الشيوخ كانوا يقومون بمهام
عظيمة فإن كانوا أحياء أضاوا بالدولة كما أضر شيوخ إمبراطورية
بدولتهم" (4).

كان مجلس الشيوخ صاحب سلطة واسعة على أيام أرسلو وما
تالاه من عصور وحتى سقوط المدينة ويقول أرسلو في ذلك أن الملك لا
يمكن له أن ينفذ أمرًا بدون الاتفاق مع الجمهورية فهم يشاركونه الرأي
فيما يعرض على الشعب وما يحبب عنه (5)، كما كان المجلس هو الذي
يعين القادة فهو الذي عين هانيبال لقيادة الجيش في أسبانيا بعد موت

Justinus, XIX, 2, 5-6.

(1) رغم أن أرسلو استخدم كلمة جيروسايا علماً على هذا المجلس
أي كبار السن: Gerontes
والتي تشير إلى: الصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثالث
(2) أرسلو، 102 ص.

(3) يقول أرسلو بالنص: "... فإن صلاحيات الملك بالاتفاق مع
الشيوخ أن يعرضوا على الشعب بعض الأمور وأن يجيبوا عنه بعضها هذا
إن جميع على الأمر رأيهم والشعب يفرض أرادته". أرسلو، 102 ص.

(4) الصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثاني، ص. 102.

94
هدر وصول الإمبراطور هانيايل إلى روما، وقد كان صاحب الأمم هدر وصول هانيايل إلى إيطاليا
تدعى للجيش الفرطجالي هناك (2).
وكان مجلس الشيوخ يتبع تطور الحرب معرفة بعد معرفة ويتلقى التقارير من اللواء ومناقشتها (3) كما كان يستقبل البعثات الأجانب ويستعين اليه ويميلهم برؤي المدينة مثلا، استقبل مبعوث روما الذين استكروا على استياء هانيايل على ساجناتوم وقد انتهت هذه المناقشة باعلان الحرب من جانب روما وقبول الشيوخ الفرطجاليين للتحدي (4).
وقد استقبل المجلس أيضا وفودا متعددة من روما وغيرها أثناً الحرب.
كان المجلس يتولى أيضاً المفاوضة في شأن اقرار السلام فارس
ثلاثين من أعضائه لمفاوضة سكبيو في شروط الصلح 202 ق من (5).
وأرسل ثلاثة من أعضائه إلى روما لنفس الغرض في عام 201 ق من (6).
وفي فوض أعضاء منه لتوقع معايدة عام 202 ق من (7)
ولابد أن المجلس مارس هذه السلطة الواسعة فيما يخص أمور
المدينة الداخلية أيضاً وأن كانت مصادرنا غامضة أو نادرة فيما يخص هذا الشأن فالسبب معروف وهو عدم اهتمام المصادر اللاتينية واللغوية بتاريخ النزاع إلا فيما يتعلق بصراع بلادهم معها (8).
مجلس الشيوخ وجود المعركة المنظمة وتجلى ذلك في وجود حزب
يؤيد البركسين ويدافع عن قيادتهم للبلاد. ويمكن أن نسمى الحزب

LIVY, OP. cit., XXI, 34. (1)
LIVY, Ibid, XXIII, 28,29 (2)
LIVY, Ibid, XXIII, 11-13 (3) نرى دليلًا على ذلك في التقرير الذي قدمه ماجو نشبة عن ماهية
LIVY, Ibid, XXI, 18. (4)
LIVY, Ibid, XXX, 15. (5)

94
الشعبي (1) في مقابل معارضته حزب الارستقراطيين الذي حذر من قيادة البركين وعارض الحرب ضد روما إلى آخر دقيقة وتحظى لنا المصادر اسم زعيم المعارضة جنون (2).

لا نعرف على وجه الدقة طريقة انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ أو مدة عضويتهم (3) والمتعتقد في ضوء ظروف قرطاج السياسة وتركيبة الاجتماع أن الأعضاء كانوا من ثراة قرطاج الذكور، وأنهم كانوا يختارون في عضويتهم مدة من الزمن بسبب زعامتهم لموارديهم وارتباط مصالح قطاعات مهمة من الشعب القرطاجي بهم (4) وليس لدينا أي تحديد دقيق لعدد أعضاء مجلس الشيوخ، وافترض كونهم 300 أو أكثر أو أقل مجرد تخمين، وما يمكن أن نؤكده هو أن عددهم يالفق المائة عضو الذين اختيروا من بين أعضاء مجلس الشيوخ لراقبة الحكام والقواد في أواسط القرن الخامس (5).

تعرض أرسطو للحديث عن الحكام المائة والأربعة والتي تقابل اسبرطة والذين يشهد بتميزهم على الآخرين حيث لا يؤخذون من عامة الشعب، وإنما ينتخبون من بين الأرستقراطيين، (6) والأنا كنا نعلم أن الرقاب في اسبرطة كانوا الحكام الفعليين Ephores في المدينة إذ كانوا يمارسون سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية واسعة وكانوا يشرفون على الأخلاق والسلوك العام للمواطنين وكانوا مسؤولين أيضا عن حفظ النظام، وكان الرقاب يشرفون على تجهيز الجيش.

LIVT, op.cit, XXI, 4
1. IVY, Ibid, XXI, 3,10-11, XXIII, 11-13, XXX, 20,42
2. يذكر ليبيوس (نفس المراجع والمكان السابق) أن جنون كان زعيمًا للمعارضة لمدة طالت نحو عشرين عامًا.
3. قدر بعض الباحثين عدد الأعضاء بلثلاثية عضو وقد استندوا في ذلك إلى قول بليبيوس بأن الرومان نظردوا في عام 149 ق م على القرطاجيين أن يسلموا ثلاثية رهينة يكونون لبناء لأعضاء مجلس الشيوخ، ولكن هذا النص لا يعني بأن كل عضو كان عنه ولد ذكر في سن مناسبة لكي يكون رهينة بل على العكس يوحي هذا النص بأن أعضاء المجلس كانوا أكثر من عدد الرهائن المطلوبين، أكريل، المرجع السابق، ص 415.
4. أرسطو، المصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثاني، ص 101.
ويرادون تصرفات القادة أثناء المعارك وهم سلطات غير محدودة (1)
ولا كما نعلم ذلك عن الرقباء الإمبراطورين فانيا نرجح أن يكون
لحكام المائة والأربعة عند أرسلتو هم أنفسهم مجلس المدينة المتنبئ من مجلس الشيوخ في القرن الخامس والذي أشار إليه
جستينيوس.

أشار أرسلتو أيضا إلى وجود لجان خمسية تنتخب أعضاءها وتتمتع
بصلاحيات واسعة وخطرة في التخاطر الحكام المائة والأربعة وتبقى في الحكم أطول من غيرها ويعبرون السلطة أثناء وجودهم أو
غيابهم عن المدينة وتقوم هذه اللجان بوظائفها بدون أجر (2) والمعتقد
أن هذه اللجان الخمسية ما هي إلا لجان دائمة متخصصة في مجلس
الشيوخ تتولى متابعة الأمور اليومية في أثناء غياب المجلس ولعل هذه
اللجان التي تطورت خلال القرن الثالث إلى ما أسماه لينيروس
Privy Council (3) والذي كان يضم 50
شخبا من أعضاء مجلس الشيوخ كانوا قائمين على المتابعة اليومية
لأمور المدينة.

رابعًا: الجمعية الشعبية :
أول خبر تورده النصوص عن وجود تجمع شعبي للقرطاجيين من
غير مجلس الشيوخ ورد عند جستينيوس عن نفى مالخوس (4) زادت
أهمية المجلس الشعبي بالوقت حتى أصبح له من السلطة ما ذكر أرسلتو
خلال القرن الرابع. فقد كان الشعب يدعى للاجتماع ويرآسه الملوك

(1) نوري ماكري، تاريخ العالم الأغريقي وحضارته، الدار البيضاء، 1980 ص 88-89.
(2) أرسلتو، المصدر السابق ( نفس الترجمة ) النصف الثاني، ص 102-103.
(3) يذكر لينيروس أن القرطاجيين بعد أن سمعوا خبر القبض على
سيفانكس أرسلوا الإعضاة الرئيسيين الثلاثي في حكومتهم ( إغلاق الرجال
تكونون مجلس الشورى التراثي) وكان لهم أعظم تأثير في توجيه سياسة
LIVY, op. cit., XXX, 15-17.

96
والشيوخ، والمملكة. فالписать عام للشعب ذلك في حالة اتفاق الملك والشيوخ، ولكن إذا اختفى هذا، فتوجب أن يتغير دور الجمعية الشعبية والاسبترية التي كان دورها محدوداً بالموافقة أو رفض القوانين الموقعة. أما الملك والشيوخ في ترجيح «لا يمكنون بأن يحكموا (التدابير والمسائل) إلى مساعدة (الشعب) فحسب بل من صلاحيته أن بيدى حكمه فيها، كما أنه يراهن لن شاء من وقفوا عليها بأن يعارضها» (لم). وهكذا يلاحظ بأن الجمعية الشعبية القطرانية كانت ذات سلطات عظيمة ولكنها محكومة في ممارستها إما برغية الملك والشيوخ أو بالتالي دفعهم. ونلاحظ أن اللجوء إلى الشعب لم يحدث كثيراً أو لم تكن له المصادر كثيرة، ويمكننا حصر ثلاث حالات ذكرت المصادر: عرض الأمر فيها على الشعب واحد من القرن السادس، وهي الخاصة بمالخوس والثانية من بداية القرن الرابع، ووصلت إلى ترجيح رسالة تهديد من ديوينايسوس الكبيرة، ومثله مجلس الشعب مما يفهم منه أن مجلس الشيوخ لم يتخذ القرار فيها وأن الجمعية الشعبية التي قامت بذلك، المرأة الثالثة أثناء الحرب البونيقية الثانية عندما تعرض ركب روماني للنهب أثناء هدنة، نتقدم الرسول الروماني بشكوى أمام مجلس الشيوخ أولاً ثم أمام الجمعية الشعبية التي رأت أن يعودوا دون جواب.

لا نعرف ماذا كانت شروط عضوية الجمعية الشعبية ولا كم كان عدد الأعضاء وكذ ومثلي مدة العضوية، ولكن المؤكد أن أحداً من الأعضاء أو العبيدة لم يشارك في أعمالها لما لها من خصوصية وطنية. ومن المرجح أن الأحزاب التي مثلت في مجلس الشيوخ كانت لها اختلافاتها في الجمعية الشعبية. فمن المعروف أن الأرستنترالية الثانية الممثلة في مجلس

(1) أرسلوا، المصدر السابق، نفس الترجمة، الفصل الثامن 102،1943.

97 (مجلة الدراسات الإفريقية)
الشيخة كانت تضم بلا شك كبار أصحاب الأعمال وال_UNSUPPORTED في الاقتصاد القروطجي ومن ثم كان كل صاحب أعمال يستسن سياسيا على مجموعات من العاملين معهم ولعلهم كانوا يجدعون على موائد الطعام من وقت آخر وربما هذه الموائد هي التي أشار إليها أرسطو في معرض حديثه عن أوجه التشابه بين دستور قروطج ودستوري كريت واسبطة من ناحية أخرى (١) وإذا صح ما ذهبته إليه يكون التشابه الذي رآه أرسطو لا يبدو أن يكون تشابها سطحيا (٢) فهذه الجماعات تكون أقرب إلى الأحزاب السياسية منها إلى رفقاء السلام عماขาว موارد الطعام الجماعية في البلاد الأخرى (٣).

وتجرد الإشارة إلى أن حكومة قروطج ضمت مئات من الموظفين في كل مدينة ولكن المصادر تقف صامتة ولا نجد إلا ذكر للجنة من ثلاثينًا رجلا مختصة بتنفيذ الضرائب ويكذبوها نص مرسيليا (٤) وإشارة عند ليفوس إلى المترجمين الفينيقين (٥) في معرض حديثه عن الآثار المترتبة على عقد معاهدة ١٠٠ ق م (٦).

يلائمت النظام السياسي القروطجي أنه كان متآثرا إلى حد كبير بالنظام الفينيقي حيث قام هذا النظام على سيطرة التجار الأغنياء وهم الذين مارسوا السلطة من خلال مجلس الشيوخ وكذلك من خلال مجلس المائة وفي نفس الوقت كان لا يختلف كثيرا عن النظام الأغريقي الذي كان تطبيقا في أثينا وكذلك النظام الروماني (٧) وهكذا يمكن أن نقول أن نظام قروطج السياسي كان متوافقا مع أصولها كمدينة فينيقية وممع (٨).

(١) أرسطو، المصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثاني من ص ١٠١.
(٢) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الأغريقي وحضارته، الدار البيضاء ص ١٨٨.
(٣) اقرأ ترجمة النص في: فوزي مكاوي، المعروضات والمعادات في قروطج، تحت الطبع مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرابط.
LIVY, OP. cit, XXX, 38

٩٨
تأثيرات اكتسابها ذلك النظام من اتصاله بالنظم الأخرى في الغرب،
وقد تأثر نظام الدولة في قرطاج بالطبيعة التجارية والسكنية للمدينة.
فقد كانت حروبها في الغالب ذات أسس اقتصادية، كما اتجهت
للاعتماد على المرتزقة في الجيش نظراً لقلة عدد السكان وكان للتتوسع
في استخدام الجنود المرتزقة مميزات منها عدم تعرض السكان لمخاطر
الحرب، كما أن احترام العسكرية جعل الجنود ذوي كفاءة عسكرية
قائمة عالية حتى أن الأفريقي سرعان ما اتبعوا الأساليب القروطجية.
وقد أدى است Tânاد جديد الطبقات الشعبية إلى تحقيق استقرار حكم
الطبقات الثرية، ولكن وجود هذه الجيوش من المرتزقة حامة للسلاح
مستخدمة للقتال دائما دون وجود وراء للويل في نفس أفرادها أصبح
خاطرا على كيان الدولة عند الخلاف مع قادتها، وقد زاد من خطر هذه
القوات في حالة تمدها -- تحالفها مع الرعايا الوطنيين مما أوقع قرطاج
في مأزق خطير. ويعتبر اعتماد الجيش القروطجي على المرتزقة أحد
الأسباب الهامة التي سببت سقوط قرطاج.

تأثث بعد ذلك للتعرف على شكل السلطة التي مارستها قرطاج
خارج حدود المدينة، فقد سيطرت قرطاج على المستوطنات الفينيقية
التي كانت قائمة بالفعل كما أنشأت وسيطرت على عدد جديد من
المستوطنات ولكنها لم تتجأ أبداً إلى سياسة ضم الأراضي أو فرض حكمها
المباشر على تلك المستوطنات.

مارسحت الحكومات المحلية في المستوطنات سلطاتها في داخل حدنها
كما سكت عملاً لها الخاصة وتميزت كل مدينة ببنائها المحليه، وربما
كان هناك اختلاف في مكانة المستوطنات المختلفة، إذ نظرت قرطاج إلى
كل من أورثينا وقادس كحلفاء رسميين لها، ولم يتمتع غيرهما بهذا المركز
المتميز ومن ناحية أخرى يبدو مؤكدا أن قرطاج فرضت بعض القيود

CHARLES-PICARD, G & C., LAVIE QUOTIDIENNE A
202-204.
على حكومات المدينة، فحكمت عليها عقد تحالفات مع المستوطنات الأخرى كما سيطرت قرطاج على سياساتها الخارجية. ومنعت قرطاج المستوطنات من تكوين جيوش محليّة إلا في ظروف خاصة، وكانت قرطاج تتوالى بنفسها انشاء الحمامات وتتنظيم الدفاع عن المستوطنات. ومن المحتمل أن قرطاج مارست سلطة قبالة على داخل تلك المستوطنات وسيطرت على كل تجارتها. ولم تشدد سيطرة قرطاج هذه الحدود إلا في ظروف خاصة عندما لجأت مثلا إلى توطين رعايا أفرادون في سردينيا للمساعدة في الاستغلال الزراعي والتعدين. كما فعل أيضا آل بركا عندما حولوا أسبانيا إلى مستودع لمداههم بالجنود والمال.

أما سياسة قرطاج في مناطق الموطنين في شمال أفريقيا فقد اتسمت بأسلوب الحكم المباشر في المناطق الحيوية بقرطاج، وأخذت أهلها لأسلوب القهر والاندماج من القبائل المقيمة في مناطق تحت نفوذها. بالذات وقامت وتحالفها معها. ومع ذلك فقد كانت قرطاج تلجأ إلى عمليات التجنيد منها بالقوة أثناء الحروب، وكذلك فرض ضرائب عليها. وقد أدى ذلك إلى ثورة القبائل الوطنية، كلما وجدوا فرصا سانحة لذلك. ورغم تلك القتال، فمن المؤكد أن الموطنين في شمال أفرادون والمدن الفينيقية هناك دعموا قرطاج في تكوين إمبراطوريتها البحرية (1).

---

MOSCATI, S., op. cit., 135.

(1)
قائمة بилوجرافية

1- أسطروت، السياسات، ترجمة الأب أوغسطينس بيرارة البوليسية بروت. 1957

2- أسقف الكسيم، تاريخ شمال أفريقيا القديم، ترجمة محمد النازري، سعود، ترجمة غير منشورة وقد استخدمتها باذن شخصي من المترجم.

3- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج1 مصر والعراق، القاهرة، 1976

4 - مورز، تاريخ العالم الآرامي وحضارته، الدار البيضاء، 1980

5 - مورز، آثار وعبادات في قرطاج، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1980